د. كاظم نور الدين

إفتتاحية العدد

الثقافة والإنتقال الثقافي

الثقافة التي تتغذى من المعرفة هي من أهم المواضيع الفكرية، هي موضوع واسع الأرجاء، مترامي الأطراف، جليّ وغامض، واضح ومستتر... الصورة العامة للثقافة مدركة بالحس وإن كانت معطياتها بعيدة الأغوار، مظلمة الجوانب...

1- **تعريف الثقافة:** عرّفها عدد كبير من المفكرين و العلماء والباحثين ... وهنا سنطرح بعض هذه التعاريف التي تضعنا أمام واقع يضيء الطريق أمام العلم.

- "لاروس" المفكر الفرنسي عرّفها بأنها:" مجموعة النظم الاجتماعية و المظاهر العلمية والأدبية و الفنية... التي تميز مجتمعاً عن آخر".
- كما عرّفتها موسوعة دار الشرق " الثقافة هي مفهوم يشير الى كل ما يصدر عن الانسان من إبداع وإنجاز فكري، أدبي، علمي، فني، اجتماعي...".
- كذلك يعرّف البعض الثقافة بأنها:" حصيلة النشاط الاجتماعي في أساليب السلوك و أنماط القيم السائدة في المجتمع".

بشكل عام، تعرّف الثقافة على أنّها:"" مجموعة من السمات التي يتصف بها مجتمع دون غيره، مثل: اللغة، والدين، والطعام، والأصول، والتقاليد السائدة، والفنون، والموسيقى...، كما يُمكن تعريفها بأنّها المعرفة والسلوك المشترك بين الأفراد والناتج عن التربية الاجتماعية، حيث تُحدّد الثقافة هوية المجتمعات وتعزّزها.

هذا ويُصنّف علماء الاجتماع الثقافة إلى جانبَين مُترابطَين، وهما:

1- الثقافة المادية: يُعبّر هذا المصطلح عن الأمور المادية، والموارد، والأماكن التي يرتادها الأشخاص، حيث تُساهم في فهم سلوك وتصوّرات الأفراد، ومعرفة ثقافاتهم المختلفة.(المباني والمنازل و الأثاث والزي...)

2- الثقافة غير المادية: يُطلق هذا المصطلح على مجموعة الأفكار والآراء التي يمتلكها الأفراد حول ثقافتهم، وتشمل: المعتقدات، والآداب العامة، والقيم، والمؤسسات أو الهيئات التي يتفاعلون معها...

ويرى علماء الاجتماع أنّ الثقافة غير المادية تُساهم بشكل رئيسي في بناء أفكار الأفراد ومشاعرهم وسلوكهم، وذلك وفقاً للغة التي يتحدثونها وللمبادئ التي يؤمنون بها.

أما التنوع الثقافي أوالتعدّدية الثقافية فيمكن تعريفه من المُمارسات، كما وصفها الإختصاصي الاجتماعي الدكتور "كاليب روسادو" المُتخصص بالتعدّدية الثقافية، وهذه المُمارسات هي:

- إدراك وجود ثقافات مختلفة ومتنوّعة على مستوى كبير جداً سواءً في منطقة معينة أو في العالم.
- إحترام الآخرين وقبول الإختلاف والتنوّع بينهم، والإعتراف بالإختلافات بدلاً من تحمّلها كي تتحقق الوحدة والألفة.
- تقبّل كافّة أشكال التعبير الثقافي المختلفة والمتعددة.
- تقدير الثقافات الأخرى والمنافع التي تُقدّمها للمجتمع.
- تشجيع مشاركة كافّة المجموعات المتنوّعة ثقافياً.
- مساعدة الأفراد أنفُسهم والآخرين على الإستفادة من إمكاناتهم بشكل كبير، من خلال رفضهم لتحيّزاتهم الشخصية تجاه فكرة أو جماعة معيّنة.

تعطي الثقافة كل مجتمع هويته الخاصة. وتعتمد شخصية المجتمع على كيفية تجسيد هذه الثقافة وتقاسمها وصياغتها وحفظها من أجل الأجيال اللاحقة. وتُنقل هذه الثقافة بشكل عام من خلال الرموز على مرّ السنوات، كما هو الحال مع اللغة والفن والدين والعادات والتقاليد. هذه هي الوسائل الرمزية الأكثر شيوعاً لنقل القيم والمعرفة الثقافية بين الأجيال.

هذا وتكمن أهمية الثقافة في كونها الأساس الذي يوحّد أفراد المجتمع، من خلال العادات والتقاليد التي يتم اتباعها بشكل جماعي. ومن مظاهر هذه العادات والتقاليد الاحتفالات

وطرق ارتداء الملابس أو تناول الطعام، فضلاً عن الأيديولوجيات والمعتقدات التي توحّد مجموعة من الناس وتعرّفها. وهذا الأمر يقوي الروابط المجتمعية ويمنح أفراد المجتمع الشعور بالإنتماء.

يساعد قطاع الثقافة في كل الميادين الاجتماعية و اكثر ما يساعد في الميدان الاقتصادي إذ يساهم في إستدامة اقتصاد المجتمعات بعدة طرق، من خلال التعاون الذي يساهم في تحفيز الإبتكار في قطاعات أخرى؛ من حيث الإنتاجية والتنمية المحلية والعلامة التجارية المجتمعية وزيادة السياحة. لقد اكتسبت الفرص الاقتصادية التي أوجدتها الثقافة أهمية في الاقتصادات التي تعطي الأولوية لنموذج إنتاج جديد مؤطّر في المعرفة **وقيمة مهارات التفكير الإبداعي**. وهذا يفسّر سبب أهمية الثقافة للبلد وأهمية الثقافات المحلية.

وهكذا كل من جوانب ثقافتنا يسمح بتوسيع المعلومات وفهم ممارستها والمحافظة عليها، وإبقائها سليمة من أصلها أو تحويلها لصالح الأجيال القادمة. فمن خلال الثقافة، يشعر الناس بالرعاية والتعرّف **والحب**

2-خصائص الثقافة

- إنسانية أي خاصة بالانسان.
- مشبعة لحاجات الإنسان.

- مكتسبة بطرق مقصودة أو غير مقصودة عن طريق التعلم والتفاعل مع الأفراد الذين يعيشون بعضهم مع بعض .
- قابلة للانتقال والانتشار من خلال اللغة والتعليم ووسائل الاتصال الحديثة وتنتقل من جيل إلي جيل وفي المجتمع الواحد من فرد إلى آخر .
- تطورية أي تتطور باستمرار.
- الثقافة متغيرة فهي في نمو مستمر وتغير دائم وأي تغير في عنصر من عناصرها يؤثر علي غيره من العناصر.

- تكاملية تشبع الحاجات الانسانية وتريح النفس، كونها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية.

الثقافة ذات طابع تاريخي تراكمي عبر الزمن فهي تنتقل من جيل إلي الجيل الذي يليه بحيث يبدأ الجيل التالي من حيث انتهى الجيل الذي سبقه وهذا يساعد علي ظهور أنساق ثقافية جديدة

3- التناقل الثقافي

تتجلى الثقافة في كل ما يرثه ويتناقله الفرد عن محيطه الاجتماعي بعدة وسائل، منها: التنشئة والتعلم الاجتماعيان، والتناقل أو المثاقفة بين الأجيال داخل نفس المجتمع.

تتعدد أنواع التبادل والتناقل الفكري والمعرفي في ما بين الثقافات، فمنها:

- المُثاقفة التي تركز على التفاعل الطوعي والإرادي بين مجموعتين اجتماعيتين مختلفتين، وتقوم على الاحترام والتسامح والاعتراف بخصوصية الآخر واختلافه. والمثاقفة علاقة أفقية متساوية لا قسر فيها، وتستمد قوتها من التفاعل الثقافي العالمي.

وتتنوع اشكال ومجالات التناقل الثقافي بتنوع الوسائل المعتمدة فيها، والتي منها التناقل المباشر، حيث يكون المانح والمتلقي جنباً إلى جنب، وذوي تفكير منفتح؛ ويحضر بقوة في الحرف التقليدية التي يساهم الأفراد بشكل وازن في تناقلها. بينما يتم التناقل غير المباشر باعتماد وسائط مختلفة، من البسيطة التقليدية إلى الوسائل المستحدثة التي عززتها الثورة التكنولوجية المعاصرة بالتقنيات التواصلية الرقمية، بالتزامن أو بالتتابع، وعن بعد، التي أصبحت تفرض ثقافة معولمة، تمارس تأثيرها على الثقافات المحلية وخصوصياتها.

ويمكن حصر مجالات التناقل الثقافي في:

- عالم الأفكار والتصورات، الذي تتم فيه الإستفادة من نتاج العقل البشري، ليساهم بذلك في تطوير الإرث الحضاري الإنساني والإستفادة من تراكماته.

- مجال التواصل اللغوي، الذي يتم إغناؤه بالمصطلحات والمفاهيم، باعتماد الترجمة وتوليد كلمات جديدة.
- مجال الإبداع في الفنون والحرف والمهارات والخبرات لكل مجتمع إنساني.
- القيم والعادات والتقاليد، حيث تقتبس مجتمعات من غيرها بعض الرموز والأشكال.

إن التناقل في مجال الحرف والفنون ومختلف الأشكال الإبداعية المرتبطة به قديم، ومهم جدا، إنجازه يكون بشكل جيد وسلس يضمن الحياة من جديد لهذه الصنائع التي يعتبرها ابن خلدون: "ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عملياً هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعَبَ لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل، وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. وعلى نسبة الأصل تكون الملكة. ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم. فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة على الخبر. وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذف المتعلم في الصناعة وحصول ملكته"(ابن خلدون بدون تاريخ: 443).

ملاحظة لابد من التعرض لها: النسيج الثقافي معرض، من حين لآخر، للاهتراء والتشقق، ويكتسي على فترات بنسيج جديد متماسك وقوي. فالحالة الثقافية ليست ثابتة، وإنما تتبدّل وتتغير مع الوقت، وتتقلب على مدار الزمان. والعجلة الثقافية تدور بطريقة مستمرة ودائمة بين صعود هبوط، مسموح وممنوع، مستهجن ومتعارف عليه. وبنظرة على أشكال العمران، ومرورًا على مصطلحات اللغة، يظهر ذلك التقلب الثقافي جليًا من جيل لآخر. فأشكال البيوت وتصاميمها الداخلية تبدلت، وتراكيب اللغة ومصطلحاتها وما ترمز إليه تغيرت، بفعل الجيل الجديد. فهو الذي يشكل في كل مرة ثقافة مختلفة عن سابقه، تطبع نفسها في سلوكه وسلوك من حوله، وتصبح مسيطرة عليه مع الوقت، إلى أن يأتي الجيل الذي يليه، فيبدأ بنقد هذه الثقافة بثقافة جديدة، ويستمر الأمر كذلك...

ونظراً لأهمية الثقافة في رفد المعرفة وقي ازدهار وتطور المجتمعات وفي ظل الثورة التكنولوجية... وحرصاً على المحافظة على التراث في مجتمعنا العربي الذي يمثل جزءاً من المجتمع العالمي في ظل العولمة كنظام عالمي جديد ، سارعت هيئة تكريم العطاء المميز ، ومنذ أربع سنوات، الى إصدار مجلة الكترونية نصف سنوية، (مجلة معرفة وعطاء)، تبثها على موقعها الالكرتوني(www.ochdd.org) ، تغطي جميع ميادين المعرفة وتنقلها للأجيال القادمة.